قضية للنقاش

المسرح العراقي مراجعة ونداء (2/1)

جبار صبري العطية

لو استقرأنا المشهد المسرحي العراقي - في العقدين السادس والسابع من القرن الماضي - نجده قد أثبتت عافيته وصحته، وتلمس ملامح شخصيته، باتجاه تحقيق هويته. أخص بالذكر نماذجه الابداعية، دون سواها، خطابه الأدبي غادر طفولته، نهض وحلق مستويات متقدمة، في طرح ومعالجة موضوعات مختلفة. ومن مصادر متنوعة، فاكتسب بذلك أهلية تامة، باكتمال شروط كتابته العملية الأدبية الفنية. وخطابه المرئي بقراءته الابداعية لجدوى إمكاناته التأويلية على النص. والتمثيل بتطوير عدد وأدوات المثل التعبيرية... وبما يناسب شكل ومضمون خطابه. أشتغلت عروضه المتقدمة تلك على تقنيات المسرح الحديث بأساليبه ومناهجه المختلفة. لا تقليداً أو محاكاة فحسب بل هضماً وتمثيلاً. بفعل جدلية المسرح. كظاهرة ثقافية حديثة، إنسانية، حضارية، عروض منجزة تلك تمس نبض الجمهور، وتنبع من وجدانه، فنشأت علاقة موضوعية بين الاثنين، المسرح والجمهور، حرص كل منهما على إدامتها وتطويرها بالتواصل المستمر. إن منجز المشهد المسرحي العراقي، في العقدين المذكورين، حاضر في ذاكرة المسرح والمسرحيين والجمهور. واضطلاعه بمسؤوليته الوطنية والأدبية والفنية والعرفية والجمالية وبالتالي الاجتماعية... مشهودة وموثقة. كانت الطموحات ترنو إلى آفاق فنية بعيدة ومستويات أعمق تجترأي البنية الاجتماعية... وتحقيق ثروات جديدة متقدمة في خط مساره... لكن بأسف شديد فان ما حدث هو العكس في العقدين التاليين، الثامن والتاسع فانكسر وتدنى خط بيانه المتصاعد.

كان لقيام حرب الخليج الأولى صدمة عنيفة في عقل ونفس وضمير الشعب العراقي، السلم التاخي، كان اعصارها جارفاً، وإرادة الشر أقوى من إرادة الخير، إن حرباً واحدة كفيلة بتشويه النفس البشرية، وتدمير البيت والأسرة وتخريب المجتمع وهدر وتبديد موارد الوطن البشرية والاقتصادية... لا عودة لمن تغيبه الحرب ولا سلامة لمن تعوقه، آثارها المأساوية لا تنمحي بسهولة، وجراحها المؤلمة لا تندمل بسرعة.. فكيف بثلاثة حروب متتالية في أقل من ربع قرن أساءت إلى مكانة الشعب والوطن التاريخية والإنسانية والحضارية، بل إلى حاضرهما ومستقبلهما. لم يرتو مشعلو الحروب من أنهار الدم والموت المأساوي في الداخل فحصروا اجحيمها إلى الحدود ليرووا شبقهم الدموي. فأثرت الحياة العامة بالحروب العبثية المجنونة، وتعطلت مباديها وتشوّهت مفاصلها... وبالتالي حركتها الطبيعية. كان المسرح واحداً من ثقف الباقين. إزاء الطرف الاستثنائي القاهر، العصيبه الشاذ.. التي بعقد وشتوه ضاعته تبددت أحلام المسرح والمسرحيين. تشبث كثير منهم بالمسرح ومنجزه المتقدم. بهدف صيانته من الانحراف والتداعي. لكن تيار الآفق والآلا مسرح كان جارفاً ومدمراً... دفع قسماً من المسرحيين لهجرة. بحثاً عن فضاءات صحية لأفكارهم، ومناخات مناسبة لمشاريعهم الأدبية والفنية.. القسم الثاني: بحثاً عن لقمة خبز لهم ولعوائلهم. الثالث: لزم الصمت، الرابع: واصل العطاء، مشاركاً في المهرجانات المسرحية وخارجها بعروض ذات قيم وأفكار إنسانية اجتماعية، مستفيدين من ما توفره اللغة من صور بلاغية، تعبيرية، وأخرى فنية - درامية. في الخطابين الأدبي والمرئي. وجد المزايدون والتاجرون العازلون وأنصاف وأرباع الموهوبين.. وجدوا في الظرف الاستثنائي الشاذ... فرصة ذهبية سانحة - غير مشروعة موضوعياً أو لا أخلاقياً أو لا فنياً - فقفزوا على سطح المسرح. أنشأوا فرقاً مسرحية جديدة، خاصة بهم، وأحيوا أخرى قديمة، معطلة أو ميتة... دخلوا حقل المسرح متسابقين في إشاعة ظاهرة اللافن واللا مسرح... مروجين لحالة التداعي.. معجبين من الاجهاز على المنجز المسرحي المتقدم... بحجة تخفيف مأساة الشعب وما يعانيه من آثار الحرب بعروض كوميدية رثة، (مهازل) مستغرقة في هستيرية الضحك الفارغ. ولغرض تبريرها استعاروا من المسرح الكوميدي المصري تسمية "سيء الصيت" (الجمهور عايز كده). فاتخذوا المسرح العراقي بركام كبير من رديء العروض، لا تمت إلى مسرح بصلة، لا تنبع من منطلقاته ولا تعبر عن توجهاته، لا من قريب... ولا من بعيد بل ولا إلى مفاهيم المسرح عامة. كان منتسبو هذه الفرق يلهثون وراء الكسب المادي السريع على حساب المسرح أولاً، وكرامتهم ثانياً... ممرغين أنفسهم بالمهانة. متسولين ضحك الجمهور. هذا أول متعطف خطير مني به المسرح. لقد استوحد (فرسان الكوميديا) بالجمهور... استدرجوه اليهم بنكات سوقية، وحركات وتهريجات جنسية مبتذلة تخربوا ذائقته ومتعته العرفية - الجمالية. حصنت عروضهم على قدر من حرية التعبير لصقهم الوثيقة والموثقة بمؤسسات النظام الثقافية والفنية والاعلامية فضمنوا عروضهم وتهريجات أخرى سياسية واقتصادية... فانخدع بها روادهم، ظانين بأن منتسبي هذه الفرق أحرار من سواهم في طرح ومعالجة الظواهر السلبية ونقدها بينما هي - في حقيقة أمرها - تعد. وتقدم... لأغراض تنفيسية. إعلامية. لا لمعالجتها.

لم تمر ظاهرة الكوميديا الرثة... وزيد عروضها.. دون نقد وتعرية مستوياتها المتدنية... قيل عنها - بحقها - كلام كثير في الصحف والمجلات والمحاضرات والندوات. فبدلاً من أن يصحح أو يعدل (فرسان الكوميديا) مسارات توجهاتهم.. راحوا يتمادون إسفافاً وابتذالاً.. لسبب معروف: هو دعم المؤسسات الاعلامية لظاهرة اللا فن واللا مسرح، والترويج لها بوسائلها السمعية والرئية والمقروءة.. بالمقابل تمارس ضغوطاتها على كثير من النصوص... تعطل إجازتها (الجودة) أو تمنع عرضها (دائرة الفحص البغدادية) (ماراصاد)... على سبيل المثال لا الحصر... ولم يسلم المسرح العراقي من انفصام أو ازدواجية. فإذا كان الزيد والرتعة غالبية العروض في الداخل، فإن مستوى آخر يصنع بعناية. نصوص لكتاب وتخرج وتمثل... لغرض تمثيلها في الخارج في مهرجانات عربية، يمنح القائمون بها أو عليها، مساحة من الحرية لطرح ومعالجة موضوعات حساسة ذات علاقة حميمة بالحياة العراقية والعراقيين... لا تمنح لسواهم، كالحرب والسياسة والاقتصاد والهجرة.. بقصد (مكيجة) أو وجه (الآلة الجهنمية) أو عرضه في الخارج.. صورة اعلامية للمتلقي العربي.

أول الستارة

المحرر

في سنين القحط والظلام.. سنين الارتجال والاجتهاد الشخصي معاً، أكثر من الاعتماد على نتائج العلم والتحصيل والدراسة، بدأ بعض المثقفين عملية انتزاع الضحكة من شفاه الآخرين، ثم بدأت فواصل الضحك.. وتطورت إلى فصول ومشاهد ولحظات ختام، ثم تحولت إلى ملاحم وبعجية منويفة.. استهلكت آلاف الليالي والغالي من الأنفس وترجمة الوقت، واستنزفت جيوب الحاشية والأعيان وأصحاب رؤوس الأموال من التجار والبقية الباقية من وجوه (العصمتي).

وفي كل جيل كان يثبت عند من الاصحاب، رافعين أصواتهم بوجوه ممثلي هذه الملاهي وكتابها ومخرجيها. ولكن الشفاه المتنوعة بالعابث التي أدمنت اللامسة لكأس وكل أنواع الخمر الخارقة الفقة. لم يكن من صالح أصحابها مغادرة الملل الرطب خشية التعرض لحرية الشمس.

وهكذا استمر تيار التهريج في التدفق عبر حالات وعادات لا تحصى، ومن خلال عمليات بيع وشراء ومساومات لا تنتهي، حتى جاءت الساعة التي تدور حولها معظم الحكايات والقصص.. لقد نزل أصحاب المثل والشهادات والانواق الرفيعة، ورفعوا أسلحتهم الثقيلة في وجه ذلك الاسفاف. فجردوه من كل مواصفاته، بل انتزعوا براءته السانحة، وقذفوا به أمامنا بلا رحمة ولا مواساة.

وانبثقت المسرحيات وأخذت توزع السعادة على الوجوه وتندفع على شكل موجات من الندى إلى بغداد وبقية المدن حتى غمرت خارطة العراق. وعند ذلك انقشعت منصات الاسفاف التي مازالت منهمكة في سحب المال من جيوب المثقفين، ولكنها لم تستطع عن تقديم فواصلها. ثم أخذ الرعد يهطل فوقها مدراراً. فإذا هي هشيم إلا داخل (التياترو) الصغير (صندوق الدنيا) بكل ما حواه من إضحاكيات وتهريج، وما هب ودب من سقط المتاع.

إنه لجميل هذا المسرح، وأجمل منه حياة الانسان!

فتتحول إذن جميع المواد الهشة والقاسية إلى ثمر وبرتقال فنحن لا تزال نفخر بمسرحيات (النخلة والجيران والسيف والسايق وبغداد الأزل وكمور بقرع الناقوس) لأننا نحترم ونقدس ثمار العقل البشري.. ويعز علينا أن يتحول شارع الرشيد وكل ما في العاصمة من دور سينما وقاعات وصالات إلى كام.. لأننا نعرف جيداً إن ما يغوص تحت الركام لن يخرج إلى الشمس مرة ثانية. مما يدعونا الآن، أن نبدأ مرحلة جديدة من الترويج لا يقوم فيها الضحك على فنون الفرجة والإثارة والهازل الثقيلة. بل على فن الكوميديا، وإن كنت أشك في أننا نستطيع هذه المرحلة قبل جهود نزوية ومخلصة من رجال الكوميديا في العراق. خاصة ونحن شعب استطاع أن يصل إلى مرتبة أعظم نكتة في العالم.. والدليل، إننا لانكاد أن نبدأ في رواية (نكتة) إنه حتى يبادرك بالقول: "قديمة"!

أسئلة المسرح وجدل الواقع الراهن

أجرى الحوار: محمد علوان جبر

بأي نظرة وأي منطق، وأي تقييم يمكن أن يطلق على مسرحنا في المرحلة الراهنة؟.. هل هو قريب من واقعنا العراقي الراهن؟.. نحن بحاجة الى مسرحيات مضادة؟.. ما مدى حاجة هذا المسرح الى نظرة شمولية بوسع الحياة وعمقها؟.. وكم نحتاج من وعي ونظرة موضوعية دقيقة وهادئة لكي نستطيع استيعاب المرحلة وطروحاتها بشكل فاعل ومؤثر من أجل النهوض ثانية بمسرحنا العراقي؟ هذه الاسئلة وغيرها الكثير وضعناها امام البعض من فناني دائرة السينما والمسرح، وفيما يلي خمس اجابات حول جدل الواقع الراهن الذي ورد في الاسئلة أعلاه.

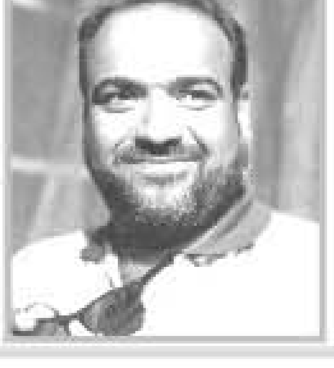

الهدف تقديم فن راق أولاً

يقول المخرج المسرحي فلاح إبراهيم:

- المسرح العراقي بعد السقوط الريع للدكتاتورية المقيتة ينهض من جديد كما تنهض الثقافة الحرة. وذلك يحتاج إلى انقلاب وليس إصلاحاً، بدءاً من تحطيم الفكر الاحادي، أو لنقل التعصب والادلجة وانتهاءاً بربط المسرح بالحياة المدنية المتحضرة.. مبدئياً، هناك أوراق عمل ستقدم أو قدمت لوضع دستور للمسرح القادم يتضمن تشكيل لجنة ثقافية أو مؤسسة للمسرح والسينما تقوم على مواكبة التطورات التي تحصل في العالم بستراتيجية تقوم على الفعل الثقافي الحر، وعلى المشاركة الواسعة في المهرجانات العالمية، وتحرير المسرح من براثن الاداريات القديمة.

أول شمعة مسرحية للوطن

ويحدثنا الفنان المخرج فخري العقيدي، قائلاً:

- عندما يتهدم البيت فان كيفية إعادة بنائه ليست بأهمية إعادة بناء النفوس التي كانت تشغل هذا البيت. نحن انتقلنا من البيت الصغير الذي كنا نعيش فيه إلى بيت أكبر، ألا وهو الوطن.. والوطن بحاجة الآن إلى نفوس كبيرة وعقول كبيرة وتضحيات من أجل إعادة بنائه من جديد، وهذا البناء يقع على عاتق الفنانين والعمال والمهندسين، وكل شريحة على اختلاف اختصاصها فكراً أو عملاً.

الفنان والحصة التموينية

الفنانة إنعام الربيعي، لها وجهة نظر

- المسرحيون العراقيون، أنموذج أو شريحة مصغرة لشعب العراقي العظيم ذي الحضارات الكبيرة التي علمت البشرية الكثير بدءاً من الحرف. ولقد تعرض تعبيتنا إلى العديد من الكوارث والاهوال والمحن، وقدم تضحيات لاتصدق من اجل أن يبقى حياً ديناميكياً. ولعل الفنان المسرحي هو مخاض هذا الشعب لانه أصر على أن يكون صوتاً يخترق عنان السماء. الا يستحق هذا الفنان أن يؤمن له مورد مادي يعينه على العيش الكريم؟.. سؤال أوجهه لكل المسؤولين في الدولة، عسى أن يتذكروا أن الفنان بلا مردود مادي، بل هو مازال حتى الآن يبيع حصته التموينية من أجل أن يصل إلى المسرح ويكون في الموعد المحدد لتنفيذ تمارينه المسرحية.

50 عاماً في المسرح

أما الفنان عزيز عبد الصاحب، فيقول:

- حاول المسرح بعد سقوط النظام أن ينهض لكي يقدم شيئاً جديداً يليق بتاريخه الفني العريق، فكانت عروض مهرجان بغداد المسرحي الاول خطوة جديدة، على الرغم من حالات العوز التي يعيشها فنان المسرح في الوقت الراهن.. ولهذا أجد ثمة مسؤوليات حساسة ينبغي على وزارة الثقافة أن تعيرها اهتماماً، خصوصاً في ما يتعلق بوضع الفنان المادي. فهذا مثلاً، لي خدمة في المسرح تربو على 50 عاماً، ولا أعرف الآن إلى أين أتجه، وماذا أعمل. ولا أغالي أن قلت بأنني أفكر جدياً في فتح دكان قرب بيتي لأكسب رزقي.

المخاض

ويختتم الفنان جلال كامل هذه المداخلات قائلاً:

- المسرح نتاج المجتمع في كل زمان ومكان. والمسرحيون في الوقت السابق، هم أنفسهم مسرحيو العهد الحالي. وإن الانتاج المسرحي لايمكن أن يكون إنتاجاً ذا معالم واضحة إلا بعد فترة طويلة. إننا الآن نعيش حالة مخاض وحالة تغيير شامل. بمعنى إننا حتى اليوم، لم تتبلور لدينا صورة واضحة لارضية الإنطلاق. هناك من يرجح فكرة التعامل مع الواقع والاستفادة من التجارب السابقة لتحصين أنفسنا والانطلاق من جديد برؤى تختلف عن الرؤى السابقة.

في المصطلح المسرحي

المسرح الطليعي

شاع مصطلح المسرح الطليعي في فرنسا في أواخر أربعينيات القرن الماضي ممثلاً في بعض أعمال صاموئيل بيكيت ويوجين يونسكو وآرثر آداموف وقد أخذ هذا المصطلح جذوره أو لأمن مذهب "اللا معقول" في الادب والفن والثقافة الفرنسية في أعقاب الحرب العالمية الثانية. ثم تكافئهما بعد على مذهب "العبث" الذي كان (البير كامي) أول من فتح الباب عليه. وعندما وضع بحثه الفلسفي الشهير "اسطورة سيزيف".

وبين اللا معقول والعبث أعلن كتاب فرنسا المسرحيون وقتذاك من أن حيث أعمالهم تحت نيتك التصنيفين، في أكثر من مناسبة، أنهم لا يشعرون تصنيفاً أو تقسيماً محدداً، بل فضلوا الانضواء تحت مصطلح "المسرح الطليعي" في كنف الازمة الانسانية التي بدأت بالحرب العالمية الأولى وبلغت ذروتها في مأساة النازية وقنبلة هيروشيما، خصوصاً وأن أولئك الكتاب المسرحيين، ومن سار على خطاهم، لم تظهر أعمالهم إلا في ختام النصف الأول من القرن العشرين، وما بعده، بعد أن بلغوا النضج في حد التنظير والنقد، إملائاً من مشكلة فلسفية واحدة، خطيرة وهامة حقاً: هي مشكلة الحكم بأن الحياة جديرة أو غير جديرة بأن تعاش. وهي مشكلة الوجود كما قال هاملت: أن نكون أو لا نكون.

كان ذلك الثمر دنفسه، على ما فيه من تشاؤم، منحة لأولئك الكتاب من التردي واليأس، على الرغم من أن مسرحهم يقف موقف الشقاق والمناوأة من الكثير مما يؤمن به عصرهم وتقوم عليه حضارتهم.

ليس غريباً أن يصدم (المسرح الطليعي) مشاهده ويرتريه، ويسلب من قيمة قناعته ويعري حياته وحضارته ويكشف له عماقيها من حوله: مسرح وصفه يونسكو بانه عودة إلى ما لا يطاق يصل بكل ما يتناوله إلى أقصى حدة له، وإلى حيث تكمن منابع الأساة مسرح عنف: كوميدي بعنف، ودرامي بعنف.

خلاصة القول، إن المسرح الطليعي، لا يعبث ولا يسعى إلى اللا معقولية. ولكنه يسعى إلى تمزيق أستار اللا معقول، والنفاذ من ورائها إلى الواقع الحق، ومواجهته بكل ما فيه من عبث وخواء فهو في جملته، تحد للانسان الغربي في الرضوخ أو تقبل الحالة الانسانية في زمانه، على ما هي عليه حقاً، بكل ما فيها من ضياع وخوف وعبث، وأن يحتمها بما يليق بانسانية الانسان من نبل ومسؤولية، وليس في مثل ذلك التحدي يأس أو هروب.

تعقيب

كي لا نسدل الستارة

(رداً على مقال "أول الستارة"، صحيفة المدى، العدد 84، الأحد 28 شباط 2004)

فصفق المشهد الثقافي العراقي... كبيرة وكثيرة، بعضها يختصر وبعضها لا يختصر، وبعض منها استدل عليه المستقر كسبب آيديولوجية وشخصية ولكي نسلط الضوء على الذين... يد إن هناك الكثير من الذين يتصدرون الآن دكة الصحافة اليومية الاسبوعية الجديدة والتي تراها بعض الأحزاب والحركات يكشفون حقائق وأركانها كانوا جزءاً منها في أول المستقر من مسرح ومسرحيين (المدى، العدد 84، الأحد 28 شباط 2004) التهم المحرر أكثر من 5300 فنان من المحافظين من العمال الإبداعي في ظل النظام السابق وأكثرهم حسب تعبيره من نسبه الفجر اللوائي يعرف بتأكيد المحرر أسماءهن واشكالهن وطريقة تحرير المواضيع الصحفية التي كشفت تليع عن السفهن ويتصدرن الصحف والمجلات التي كان يحمل بها المحرر هذا أو ذاك وربما يكون محرر أول المستقر الذي أخفى أسمه عن المقال من ضمن الأسماء (وإن بعض الظن إثم) إلا أن يكشف عن اسمه. خلاصة القول إن دائرة السينما والمسرح بمحلاتها الجديدة ومدير فرقتها القومية ومدير مسرح محافظتها الذين عجزوا عن فرز أسماء الفجر الذين كانوا أبطال أعمالهم المسرحية في مرحلة ازدهار مسرحهم التجاري ساعدوا الوزارة المعنية (وزارة الثقافة) في قطع أرزاق أكثر من مائتي عائلة عراقية إنما جدلاً إن الغجر بعد لم يغادرن إلى سوريا أو دول الجوار حسب المعلومات التي تشير إلى الصحافة ولنقل إن عددهن مائة فالنسبة هو مائتي كذبه إن أكثرهم من فناني المحافظات الجنوبية أبناء وأحفاد الفقر الجماعية وسياسة فناني المحافظات (مصطلح الدائرة) الناجم لوقف حركة الثقافة في المحافظات وإن فناني المحافظات الذين خطبت عقولهم لا يعرفون الـ (ق ي..) هذا الإعلام شأنك التلفزيون وسقال الإعلام في ظل النظام البعثي وما يدفعه من مديح الحاملين ضمن زركشة الجغرافية والمؤسساتية، وحتى تكشف التاريخ حقيقة بعض فناني المحافظات (فناني العقود) كانوا الأكثر شجاعة كبعد سقوط النظام دبعثر فنانو الديوانية (عبد الحسين صاحب الذي أحمد، هادي المهدي، علي الطرفي، سعد عبد علي، أسماء صفاء) بتقديم عمل تلفزيوني بث من قناة كردستان الفضائية ليكون ظاهرة يومية في الداخل والخارج وكانت رسالة إلى العالم بأن الدكتاتورية انتهت وسلطت الضوء على مظاهر الدكتاتورية الصدامية، وقد شتم شارة الدكتاتورية (صدام الكبير) وكمحك لنا مخاطر محاولات الاغتيال التي نجا منها فريق العمل وما كتبته الصحافة العربية محاولة أن تفتح شهية الإرهابيين لاغتيالنا، وفي وقت رفض الكثير من فناني بغداد المشاركة في مثل هذه الأعمال (وهؤلاء قد تثبت عقودهم). بالمناسبة السؤال مطروح أمام وزارة الثقافة ودائرة السينما والمسرح أن تطلع وتشاهد الفاكة حلقة من شمسة، ومسلسل حنين وطبق الأصل الذي بث من قناة كردستان الفضائية وموجودة حالياً كأقراص CD في كل بيت عراقي وفي كل مكتب بيع من شمال الوطن إلى جنوبه هؤلاء يا سيدي محرر أول الستارة، بعض من الأسماء التي الغيت عقودهم وأرجو من الوزارة والدائرة أن لا تقدر عقودهم.

(اليهود أسرة أخرى إلى المحطة في زمن الديمقراطية).

فنانو الديوانية

عبد الحسين صاحب

علي الطرفي

رسالة الديوانية

قراءة في عرض مسرحية

نزيف الذاكرة.. انشطار العمر بين الهنا والهناك

خالد ايما

وفق الرؤية والطرح الجديد لمفهوم العرض المسرحي، ثمة موقف معلن واشتغال واضح منذ البدء في عرض مسرحية "نزيف الذاكرة" تأليف حليم هاتف إخراج توفيق عبد الواحد يتجسد هذا الاشتغال في عنوان العرض المسرحي ذاته والذي ناور به المخرج على حساب نص المؤلف الذي ينهض ببنية مونودرامية دخلت مدار الزمن بغفلة من الإنسانية والتاريخ في أجواء مظلمة، لا نشم منها سوى رائحة الدخان والزمان والذكريات والحرمان. من هنا يؤسس مايسترو العرض المسرحي مفتتح المسرحية بنزول المحكوم عليه بالإعدام. وهو مطارد بمحتضر غيب ومخيف ووسط حفرة لا يبصرها وينصد أشياءها حسب الذاكرة والحرمان الانعتاق. والتحصيل الحاصل هو انشطار الرؤية ما بين (الهنا / والهناك) في حسرة ولوعة واشتياق محسوب لتداعيات انحصرت أرواحها في فضاءات القبو المظلم.. ومن ماهية الحدث والطرح الجديد واللوامة ما بين التغير السياسي الذي حصل في بلدنا اجتهدت فرقة (عيون) المسرحية في (الديوانية) بتقديم عمل مسرحي متزن وواقعية ما يسمى بالتجريب أو المختبر المسرحي "المونودرامي" للممثل الواحد، حيث التجريب أراد معادلة الامتحان والاختبار والكشف عن كل ما هو مألوف ومتخوم بمتاهات الرؤية المعرفية في سياسة الإيهام والغموض والترميز.

ومن هنا كان لنا نزيف متواصل ومحسوب بدقة بـ (العشرين) على شاشة التاريخ نزيف الشوش الذي نصب مقصلته تحت أعمدة النور وأعدام الذاكرة في صومعة الغربة والتشرد والحفر المظلمة في جريمة كبرى لم تزل تتناسل حتى صار لنا أحفاد شرعيون يطمئنون القتل النسيان هذا الجذر إنه التاريخ الذي لا يفرق بين الحدائق والزابل. ومن لوعة هذا التاريخ كان لنا نزيف لا يتوقف ولا يريد أن يتوقف إنه "نزيف الذاكرة" لتداعيات ما بين خارجيات الزمن الداخل، وداخليات الزمن الخارج. وذلك من خلال حبل سري يتدلى من أعلى فتحة القبو، فلم يكن بين الفرح وبين الشخصية سوى سرية التدلي العالم في الذاكرة والذكرى للطفولة المتأرجحة في صلاة العيد الغائب. في مونولوجات الشماسية غائبة عن الحضور (كنا نلعب كل شيء، ونحمي طفولتنا) عشرون عيداً ولباس عشرين عاماً وكل ما حوله هو التداعيات طفيفة تتراقص في ذاكرته.. الام، والجرغد، والقدر اللعين الذي اجهض انسانيته واحاله إلى مسخ وانشطار العمر بين حكم الهنا والهناك وحكاية السعلوة والغول التي تروى من قبل الجدة. وصبايا الحارة وملبس العطار صيهود، ورفض الحي إلى الحياة.. ليتنا لم نولد يا أمي، ليتنا لم نكبر ويحدودب الظهر ليشيخ العمر في الوقضاء على الرغم من أن الخنجر العربي لا يفرق بين أعناق النساء وأعناق الرجال في اباحية الرذيلة أو سلب الفضيلة اقسم بالشر فوالكرش المتدلي، اقسم بالبنادق، والجيوب الخاوية، اقسم بالقيم الغليظة في أطروحة ما يسمى بالشارب الغليظ.

هذا هو التاريخ الذي توسم شارات مرادفة وبديلة للأقراص (أنواط الشجاعة) شارات من البامية اليابسة (الخيطة) والباذنجان والبصل للذي حصل في اكذوبة وأسطورة مسطرة بقلعة غير حصينة وغير مؤهلة بعزف مستمر ومتواصل على شربة الماء، لتشوية جميع البيانات الصادرة عن النظام المقبور وتعرية سمفونية الحرب والرشية العسكرية والاناشيد الوطنية المزمنة بطريقة ساذجة ومضحكة تنفيذاً للموقف البطولي "الجنة مشينة للحرب، زينين الحنه وداعتك القلم والحنه، وياك..."

إذاً، هكذا أريد أن يكون لهذا العرض خطاب متميز ومحفور في الذاكرة المسرحية، رغم العرض الواحد الذي تم له، فهو أول تظاهرة مسرحية تلقي التحية من على منصة النشاط الفني في الديوانية بعد التغيرات السياسية التي حصلت في بلدنا، فهو رسالة حب وثأر في المحضر وصفعة لكل من تقوده نفسه إلى تحقيق انطباعات لا تنسجم تجاه ما حصل.

"نزيف الذاكرة" هدية متواضعة وبسيطة قدمت لنا من قبل "فرقة عيون المسرحية" بعد أن تضافر فيها جهود المخرج "توفيق عبد الواحد" والفنان سعد هذابي" وطاقم التمثيل المونودرامي" حليم هاتف" والجهود الاستثنائية للثنائي المبدع (فاضل سالم وعلي ساهر) في تنفيذ المؤثرات الصوتية التي استخدمت بحرفية وفنية كانت حاضرة على طول الجزء الأكبر من العرض.

إذن، لنكتشف ونجرب ونتمزق الاقنعة التي نختفي وراءها يومياً ونرى المسرح كما كان الاثر الذي يتحدى به المثل نفسه وبه يتحدى الاخرين كالذي حدث في مثل هذا العرض....

وردنا من بعض فناني الديوانية تعقيب يحمل شيئاً من الاحتجاج على كلامنا تحت عنوان "أول الستارة" في العدد 64 من (المدى) حيث كنا ندعو من الصميم أن تنتبه وزارة الثقافة لهذه القضية. أما أن تفسر كلامنا في سياق مختلف من قبل هؤلاء الفنانين فالأمر يدعو للأسف حقاً، آملين من القراء مراجعة العدد السابق، ليتبينوا خطأ ما جاء في تعقيبهم... وها نحن ننشر هذا التعقيب كاملاً، من منطلق حرية الرد، وللقراء الكرام حق الرد والمناقشة.

المحرر